IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الثالث لكلية القانون - جامعة واسط للمدة من 17 - 18 نيسان 2024

دور الاحزاب السياسية في تشكيل الهوية الوطنية في العراق

(جدلية التعزيز والتفتيت)

م. م. حسين علي حميد [1]

المستخلص

ان للأحزاب السياسية في الانظمة الديمقراطية ادواراً عديدة ومهمة ، وتشكل الاحزاب جوهر النظام السياسي الديمقراطي فهي التي تضع البرامج الانتخابية وتخوض الانتخابات وترسم السياسات العامة للدولة بناءً على برامجها الحزبية . وفي هذا البحث عملنا على بيان دور الاحزاب العراقية في مسألة مهمة للغاية تخص هوية الدولة الوطنية وضرورة حمايتها وتعزيزها والدفاع عنها ، وان يتم وضع الهوية الوطنية في اولويات برامج الاحزاب السياسية . ورغم تطرقنا الى اهم دعائم ومرتكزات الهوية الوطنية في العراق، الا اننا لم نغفل عن بيان اهم المحددات والعوائق التي تقف بوجه الهوية الوطنية الجامعة العابرة للهويات الفرعية ومن ابرزها الطائفية والاقتتال العرقي وانتشار الخطاب غير المعتدل والفئوي على حساب الخطاب الوطني ، وغياب العدالة في توزيع المهام والاعباء وتولي الوظائف العامة والمناصب الهامة في الدولة ، وضعف القانون وتسلط القبلية والعشائرية على الشارع العراقي . ومن المؤسف ان الاحزاب العراقية لم تمارس الدور الايجابي في هذا الشأن ، بل على العكس عززت الاحزاب عبر مؤتمراتها وبرامجها الانتخابية وماكناتها الاعلامية الهويات الفرعية والطائفية والاثنية كون برامج الاحزاب السياسية كانت قاصرة على فئات معينة من المجتمع وركزت على الطائفة والعشيرة والمنطقة .

الكلمات المفتاحية: الاحزاب السياسية ، الهوية الوطنية ، خطاب الاعتدال والتسامح

انتساب الباحث
[1] قسم القانون، كلية الكوت الجامعة، العراق، واسط، الكوت، 52001

[1]hussein.a.hameed@alkutcollege.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر : كانون الثاني 2025

The Role of Political Parties in Forming National Identification in Iraq (Dialectic of Enhancement and Fragmentation)

Assist. Teacher Hussein Ali Hameed

Abstract

Political parties in democratic regimes have important and several roles , Parties form the essence of the democratic political regime, they put electoral programs and stand for elections and set the general policies for the state based on their party programs. in this research we worked on statement of iraqi parties role in a significant issue belongs to the national state identity and necessity of protecting and strengthening and defending it ,and putting the national identity in priorities of political parties programs. while we discussed the most important pillars of the national identity in Iraq , but we haven't missed the statement of the most important determinants and obsticals that stand against the national identity which is inclusive and expressive of Sub-identities and the most notable is sectarianism and ethnic fighting and spreading factional and unreasonable discourse at the cost of national discourse , and the absence of justice in distribution of tasks and charges and hold the public office and important positions in the state, and the weakness of the law and domination of tribalism and clan among Iraqis. It's a pity that iraqi parties didn't exercise the positive role in this matter, on the contrary , parties enhanced Sub-identities, sectarianism and ethnicity through their conferences , electoral programs and media machines . programs of political parties were limited to certain categories of society and focused on sect, clan and region .

keywords: Political Parties, National Identity, Tolerance and Moderation Discourse

Affiliation of Author
[1] Law department, Alkut university college, Iraq, Wasit, 52001

[1]hussein.a.hameed@alkutcollege.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Jan. 2025

المقدمة

تشكل الهوية الوطنية في العراق هاجساً كبيراً لدى الباحثين كونها موضوعاً ذو اهمية قصوى للمواطن العراقي ولمن يحكم النظام السياسي في العراق . وتناول الباحثون ابرز دعائم الهوية الوطنية في العراق وابرز المعوقات والعقبات التي تقف بوجه تشكيل الهوية الموحدة او تعمل على اضعافها . ومن هذه العوامل هو دور الاحزاب السياسية في العراق فالاحزاب تعبر عن هوية النظام السياسي وتوجهاته واهدافه وتصرفات النظام السياسي وسياساته ما هي الا انعكاسات الى برامج واستراتيجيات الاحزاب السياسية . وعليه فقد لعبت الاحزاب السياسية دوراً كبيراً في مسألة تكوين الهوية الوطينه رغم ان هذا الدور كان في الغالب دوراً سلبيا ومضعفا لهوية ومشتت لها الا انه يعول الكثير على الاحزاب العراقية في ان تعيد بلورة الهوية العراقية وتعزيزها ودعمها كهوية موحدة لكل اطياف الشعب العراقي بعيدا عن كل انتماءاتهم الشخصية او الفئوية والقضاء على تشتت الهوية العراقية كون الامر اصبح خطيراً لدرجة تهديد النظام السياسي برمته . وهذا ما وعته الاحزاب العراقية في وقت متاخر وعليها الان ان تظهر النوايا الحسنة في دعم الهويةالواحدة الموحدة لجميع العراقيين مع ضمان احترام الهويات الفرعية وانتماءات الافراد الدينيه والمذهبية والقومية لكل الاطياف العراقية لكن على ان لا تسمو هذه الهويات على الهويه الام الجامعة لكل العراقيين .

اهمية البحث

تبرز اهمية البحث من خلال معرفة ما للهوية الوطنية من دور بارز ممكن ان تلعبه في دعم الاستقرار السياسي في البلد وما لها من قدر كبير في حفظ كرامة المواطن العراقي ونشر العدل والمساواة بين افراده وتمسك المواطن العراقي بوطنيته والدفاع عنها . ونبذ كل ما من شئنه ان يهدد تماسك المجتمع العراقي ووحدته .

اهداف البحث

يهدف البحث الى بيان اهم الادوار التي تلعبها الاحزاب السياسية بخصوص الهوية الوطنية ، وهل هذه الادوار هي ادوار سلبية معرقلة لتشكيل الهوية الوطنية ام انها ادواراً ايجابية معززة وداعمة للهوية الوطنية على حساب الهويات الفرعية .

مشكلة البحث

يقوم البحث على مشكلة اساسية مفادها ان للاحزاب العراقية ادواراً سلبية واخرى ايجابية بخصوص الهوية العراقية ، وضرورة تشخيص هذه الادوار وحث الاحزاب العراقية على تبني برامج وطنية عابرة للهويات الفئوية الضيقة .

منهجية البحث

تم استخدام المنهج التحليلي الوصفي لوصف الهوية الوطنية وما للاحزاب العراقية من يد طولى في تشتيتها او توحيدها .

هيكلية البحث

تم تقسيم البحث الى ثلاثة اقسام تحدثنا في القسم الاول عن انواع الاحزاب العراقية وادوارها السياسية والاجتماعية وفي القسم الثاني بينا مفهوم الهوية الوطنيه وابرز الدعائم الاساسية المعززة لها وما هي اهم العقبات التي تقف في طريقها ، واخيراً تطرقنا الى الدور الذي يجب ان تضطلع به الاحزاب العراقية في حماية الهويه الموحده الوطنية العراقية ودعمها والحفاظ عليها .

اولا: قراءة في انواع واهداف ومبادئ الاحزاب السياسية العراقية

1- **نشأة الاحزاب السياسية** :ان ظهور الاحزاب السياسية اختلف من بلد الى اخر ومن حضارة الى اخرى باختلاف تجارب شعوب هذه الحضارات و الظروف التي عاشوها . فبعض الاحزاب السياسية جاءت نتيجة لتجمعات عشائرية وقبلية ، واخرى جاءت نتيجة لتكتلات داخل المجالس النيابية بعد فترة من انتشار هذه المجالس في العالم وتطور التجربة البرلمانية ، وكثير من الاحزاب السياسية نشأت بالتحول من صورة الى اخرى فكثير من الجمعيات التعاونية والنقابات العمالية تحولت الى احزاب سياسية . بالإضافة الى كثير من قوى التحرير الوطني التي حملت السلاح لنيل الاستقلال صارت فيما بعد الى احزاب سياسية تدافع عن الحقوق السياسية لنفس الجماعات والشعوب ولكن ليس بحمل السلاح بل من داخل المجالس التشريعية . ومن الامثلة على الاحزاب التي نشأت في العراق على اساس برلماني حزب التقدم لمحسن السعدون وحزب الشعب لياسين الهاشمي وكلاهما اسسا هذين الحزبين وهم على رأس قبة البرلمان[1] . واحزاب مثل الحزب الوطني الذي اسسه احمد عرابي في مصر وحزب تونس الفتاة شكلت من اجل التحرر من الاستعمار الاجنبي .

2- **تعريف الحزب السياسي :** لقد اختلف اغلب المفكرين والباحثين في تعريف الحزب السياسي ، او بوضع تعريف جامع وواضح ومحدد للأحزاب السياسية . فمنهم من يعرفه بناءً على الهدف الذي انشأ من اجله . ومنهم من يعرفه على اساس كم يملك هذه التجمع من الناس المؤمنين به وبأهدافه ومبادئه . فالبعض يشترط على الحزب السياسي ان يكون ممثل لطبقة كاملة مثل طبقة الفلاحين او العمال او الحرفيين في السلطة السياسية . والحزب السياسي بالعموم مرتبط بالسلطة والمشاركة فيها والتأثير بها وتمثيل مؤيدي الحزب وانصاره في عملية صنع القرار . والاحزاب السياسية هي افضل طريقة نضمن فيها اعتماد الطرق والقنوات الدستورية في الوصول للسلطة او هي افضل تعريف لهذه الاساليب والطرف الدستورية[2] .

3- **أنواع الاحزاب السياسية :** فهي تختلف باختلاف التجربة السياسية للدول ، ولكن بالعموم فللأحزاب السياسية تقسيمات وتوزيعات فمنها الاحزاب المبدئية ومنها الاحزاب المصلحية . والمبدئية هي الاحزاب التي تحافظ على نفس المبادئ والاهداف والافكار فيما يخص قضاياها المفصلية . ولا تتراجع او تتخلى ابداً عن هذه المبادئ مهما كلف الثمن . وتعيد تقديم هذه المبادئ الى جمهورها والتذكير بها عبر ادوات الحزب الادارية والاعلامية وغيرها . ومصدر قوة هذه الاحزاب هو في ايمان جماهيرها ومؤيديها بمبادئ الحزب واهدافه واستمرارهم بمناصرة الحزب واعادة انتخابه . والاحزاب المبدئية اليوم في العالم وفي العراق على وجه الخصوص قليلة جداً والسبب يعود الى التطور الحاصل على الساحة السياسية العراقية والاحداث المتجددة والقضايا المتشعبة التي تتطلب من قيادات الاحزاب الى التكييف مع هذه القضايا والسير معها ، وبالتالي تغيير مبادئ الحزب واهدافه وتكييفها مع المستجدات على الساحة والسياسية وبما يضمن حصول الحزب على اصوات اكثر وبالتالي تمثيل نيابي اعلى او الظفر بالمناصب التنفيذية . ولذلك فان اغلب الاحزاب السياسية الموجودة على الساحة السياسية العراقية اليوم توصف بأنها احزاب مصلحية بحتة . ولهذا السبب فأن عمر الاحزاب العراقية السياسي قصير جداً بسبب غياب الرؤية المبدئية الواضحة لتأسيس الحزب والانصراف باتجاه المصلحة الانية فقط . ان للأحزاب السياسية اهمية بالغة في الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي للبلدان وضروري وجودها للغاية في تعزيز القيم الديمقراطية والوطنية ، لكن هذا يقف على دور الحزب وسياسته ففي بعض الاحيان تكون هذه الاحزاب وخصوصاً تلك التي تسئ استخدام السلطة وتشتت مقدرات البلد وتفرط في حقوقه ومصالحه مصدراً لتراجع الحياة السياسية والازدهار الاقتصادي وغياب الاستقرار وبالتالي تلعب مثل هكذا نوع من الاحزاب دوراً سلبياً في الحياة العامة للمواطنين[3].

4- **تقسيمات الاحزاب وانواعها في العراق** بوجه ادق تتنوع الى اكثر من نوع واحد. ومنها ما يقسم على اساس دور الحزب في تأسيس الدولة او النظام السياسي ، فبعض الاحزاب تعرف بالأحزاب المؤسسة وهي الاحزاب التي سبقت النظام السياسي في الوجود ، وساهمت في تكوين النظام السياسي وفق رؤية الحزب ومبادئه وافكاره . وبالتالي يصبح النظام السياسي بأكمله رهن تصرف الحزب وتأثيره وامكانية اسقاط النظام السياسي بالكامل وتشكيل نظام سياسي جديد وفق رؤية الحزب . هذا بالنسبة للحزب المؤسس اما بالنسبة للأحزاب اللاحقة لتأسيس الدولة فأن تأثيرها بالطبع يختلف ويقل شراسه عن تأثير الاحزاب السياسية المؤسسة على بنية النظام السياسي وتفاعلاته . فهذه الاحزاب تأتي بعد تأسيس النظام السياسي وتكوينه وليس قبله ولذلك فتأثيرها اقل.[4]

ويتفق اغلب المختصين على عدة عناصر يجب ان تتوافر في الاحزاب السياسية ومن ابرزها : تبدأ بأهم عنصر وهو ايديولوجية الحزب وفكره الاساسي والقيم التي يتبناها ويدافع عنها ويعمل على تمثيلها ، ومن خلال هذه الايديولوجية تُعرف سياسية الحزب ويتضح سلوكه وقراراته . ايضاً هناك العضوية وهي تعبر عن مجموعة الاشخاص الذين ينظمون للحزب ويؤمنون بأفكاره مهما كان عددهم . ومن اهم عناصر الحزب هو هدف الحزب ، فيجب ان يكون لكل حزب هدف اساسي يسعى الى الوصول اليه وتحقيقه والهدف الابرز لدى الاحزاب السياسية والذي يميزها عن غيرها من الجماعات هو الوصول للسلطة والمشاركة فيها او التأثير بها . وادوات الحزب ووسائله التي تحقق له الاهداف المبتغى تحقيقها هي ايضاً احد عناصر الحزب الاساسية . ثم التنظيم لكل ما يرتبط بالحزب من كوادر واعضاء وامور ادارية وهيكلية تخص الحزب وكيفية صدور القرارات داخل الحزب ومن المسؤول عن اصدارها. [5]

أ _ **الاحزاب السياسية في العهد الملكي :** بخصوص تاريخ الاحزاب السياسية في العراق فقد ذكرنا في بداية الحديث عن احزاب سياسية عراقية اسست من قبل زعمائها لغرض الحصول على الغطاء البرلماني لتمرير القرارات الوزارية لحكوماتهم ، مثل

حزب التقدم وحزب الشعب وغيرها . فقد تميزت الاحزاب العراقية في عهد الانتداب البريطاني بسرعة تأسيسها وسرعة انتهائها بنفس الوقت كونها او كون اغلبها شكل واسس لغرض شكلي وهو اعطاء انطباع للعالم بأن هناك نوعاً ما سلوك ديمقراطي او صفة ديمقراطية للانظمة البرلمانية وان هناك احزاب اغلبية واخرى معارضة داخل هذه المجالس . كما ان من اسباب عدم استمرار هذه الاحزاب هو ان قادة هذه الاحزاب كان همهم الاساسي هو الوصول للسلطة والنفوذ ولم يكن لديهم أي استراتيجية تهدف الى صناعة فكر او ايديولوجية معينة بعدية المدى وانما تحقيق اهداف وقتية وسريعة.[6]

وان اغلب المؤيدين للحزب او المنضمين اليه كان سبب اولائهم وانتمائهم هو اعجابهم بشخص رئيس الحزب او زعيمه وما ان يختفي هذا الزعيم حتى ينفك كل هولاء من الحزب وتتشتت توجهاتهم الى طرق عدة . كما ان اغلب الاحزاب في تلك الفترة كانت تفتقد الى التنظيم الحقيقي والمطلوب ، وانعدمت القواعد الانضباطية والقرارات الاساسية في الحزب ، حيث كان اعضاء الحزب ينتمون الى اكثر من حزب في وقت واحد وينتقل من جهة الى جهة اخرى ، فتجده تارةً مع احزاب الاغلبية وفي وقت اخر تجده مع احزاب المعارضة . وكانوا اعضاء الحزب ينشقون عن احزابهم لمجرد حصولهم على وظيفة مرموقة او منصب جيد . وبخصوص اهداف هذه الاحزاب في هذه الفترة فأغلبها كانت متشابه وهي ان ينال العراق استقلاله وان تسحب القوات البريطانية من العراق وان يتم انهاء الانتداب ، وان يتم الموافقة على انضمام العراق الى عصبة الامم . يشار الى انه الب الاحزاب في هذه الفترة لم تلجأ في خلافاتها الى الوسائل العسكرية ولم يذكر ابداً انها امتلكت اذرعاً مسلحة واجندات داخلية او خارجية . وكان معظمها يدين بالولاء للبلاط الملكي .[7]

وفي هذا الموضع لا نستطيع ان نطلق حكماً مطلقاً على ان الاحزاب السياسية العراقية في فترة الحكم الملكي لم تساهم بشكل واضح او فعال في تشكيل الهوية الوطنية العراقية ، كون هذه الاحزاب اصلاً كان يقع على عاتقها ومسؤولياتها مهمة نيل الاستقلال للعراق ، وبناء اسس الدولة العراقية الحديثة ، والانضمام الى عصبة الامم والانخراط بالمجتمع الدولي كدولة مستقلة .

ب_ الاحزاب السياسية في العهد الجمهوري : وفيما يتعلق بالاحزاب السياسية في العراق في فترة الحكم الجمهوري فأن دورها ونشاطها كان الاكثر ضعفاً ، فهي بالأساس لم تجد الارض المناسبة لممارسة النشاط الحزبي بشكل مريح وطبيعي بسبب كثرة التضييقات التي تعرضت لها منذ بداية الجمهورية في 1958 . فهذه الفترة عرفت ظهور الزعامة السياسية وبروزها على الكل التنظيمات الاخرى ، كما ان فترة الحكم الجمهوري امتازت بسيطرة المؤسسة العسكرية على كل مفاصل الدولة ولم تكن هذه المؤسسة تمنح اية تسهيلات للأحزاب السياسية لممارسة نشاطها . فقد شهدت هذه الفترة تضييقات صريحة على الحريات العامة والرأي العام ولم يتم وضع دستور دائم للبلاد بحجة ان النظام السياسي ما يزال في طور المرحلة الانتقالية ، ومن ابرز مظاهر هذا التقييد هو عدم منح الموافقة من قبل وزارة الداخلية العراقية في العام 1960 لإجازة الحزب الاسلامي العراقي والحزب الشيوعي (جماعة اتحاد الشعب) ، والحجة كانت هو عدم تماشي مبادئ هذين الحزبين مع المبادئ الديمقراطية للجمهورية في العراق ، ورغم ان الحزب الاسلامي من ح الاجازة الرسمية فيما بعد بناءً على الاستئناف الذي قدمه ، فأن الحزب الشيوعي لم يحصل على تلك الاجازة مما اضطره للعودة للعمل السري وتم ملاحقة اعضائه وشن حملات اعتقالات واسعة بحقهم . وهذا ما جرى على اغلب الاحزاب السياسية فيما بعد نتيجة مطالبتهم المستمرة بوضع دستور دائم للبلاد . فتم اغلاق صحف اغلب هذه الاحزاب وتم فرض رقابة مشددة على نشاطاتهم .[8] ومع مجيئ حزب البعث الى السلطة فقد تحول العراق الى حكم الحزب الواحد الممتدة اذرعه الى كافة مفاصل البلد الادارية والجغرافية ، يشار الى ان البعثين امتلكوا جناحاً عسكرياً ممثل بالحرس القومي كان يبطش بكل من يقف بوجه الحزب وقرارته ، واول من تعرض لهذا البطش هو اعضاء التنظيمات الحزبية الاخرى حيث تم ملئ السجون بهم . ومثلت تلك المرحلة سطوة القائد او الزعيم الممثل رئيس الجمهورية افضل تمثيل حيث كان كل شيء في النظام السياسي يدور حول رئيس البلاد فهو مصدر القرار وكل السلطات التي لم تعرف ابدأ مبدأ الفصل او التوازن فيما بينها في هذه الحقبة.[9]

وعليه فمن غير المعقول تتبع دور الاحزاب السياسية في تشكيل الهوية الوطنية العراقية في هذه الفترة حيث ان النظام السياسي وادواته كانت تكرس لتشكيل هوية بعثية تدور حول الزعيم المتفرد وتلميع صورته وتسخير كل امكانيات الحزب والدولة لذلك .

ج _ الاحزاب العراقية بعد 2003 : لكي نستطيع ان نستوعب ونصنف ونفهم نوع الاحزاب السياسية في العراق بعد 2003 ، وما اعقبه من انفتاح سياسي لتشكيل الاحزاب والجماعات بدون ضوابط تنظيمية علينا في البدء التعرف على اهم التقسيمات

الدستورية والفقهية للأحزاب السياسية في العالم ومن ابرزها التقسيم الذي يميز بين الاحزاب الجماهيرية واحزاب النخبة فالأخيرة لا تستهدف الحصول على عدد كبير من الاعضاء بل تهتم بالنوع من الشخصيات النافذة والقوية وهذا ما يمكن ان نلاحظه في الاحزاب الامريكية والاحزاب المحافظة في اوربا.[10]عكس الاحزاب الجماهيرية التي تعمل جاهداً على ضم اكبر عدد من الاعضاء والمؤيدين للحزب وتكمن مصادر قوتها بعدد اعضائها ومؤيديها مثل الاحزاب الاشتراكية . ومن التقسيمات المعروفة للأحزاب هي الاحزاب المباشرة وغير المباشرة فالأحزاب المباشرة فالمباشرة هي النوع الشائع والمعروف لدى الجميع والذي يتشكل على اساس اهداف سياسية واضحة ، اما بالنسبة للأحزاب غير المباشرة فهي تلك الجمعيات التعاونية والنوادي والنقابات التي لم تتشكل في الاساس لأهداف سياسية لكنها تحولت بعد بذلك للعمل السياسي . والتقسيم الابرز والاكثير اهمية للأحزاب السياسي هو مدى ثقل واهمية الحزب السياسي حيث تصنف الاحزاب الى احزاب اغلبية واحزاب كبيرة واخرى صغيرة وهناك تقسيمات عدة ومختلفة للأحزاب السياسية حسب التجربة السياسية المختلفة لكل نظام سياسي .[11]

بعد العام 2003 وسقوط نظام الحزب الواحد في العراق شهد العراق حركة حزبية غير مسبوقة عززتها ظاهرة الانفتاح السياسي والاجتماعي والثقافي الذي حل على العراق سريعاً جراء الاحتلال الامريكي للعراق واسقاط النظام السياسي فيه . فكان هذا الانفتاح سلاح ذو حدين على الاحزاب السياسية والعملية السياسية في العراق برمتها فأحياناً كان هذا ايجابياً واحيان اخرى كان سلبياً على تنظيم الاحزاب العراقية التي مرت بعدة محطات من اجل اكمال هذا التنظيم وافتقدته في جوانب عدة ، هذه الاحزاب كان يشغلها جميعاً الوضع القانوني والدستوري ، خصوصاً وانها وضعت محط للأنظار كونها يقع على عاتقها بناء تجربة ديمقراطية في العراق وعليها ان تنال ثقة العالم والغرب بالذات ، مما جعلها تعمل بجد على تحقيق اهداف عدة كان من ابرزها عكس صورة ديمقراطي عن النظام السياسي وبوجود تعددية حزبية ، ايضاً تنظيم عملها بالشكل الذي يمكنها من الاستمرار ، والاسراع بتشريع قانون يمنحها الشرعية المطلوبة .[12]

كان اول تنظيم لأحزاب ما بعد 2003 هو قرار رقم 97 الصادر عن سلطة الائتلاف المدني برئاسة بريمر وهذا القرار كان يتعلق بعمل التنظيمات والتكتلات السياسية ومنحها التسهيلات اللازمة وبموجبه شكلت وانطلقت اغلب الكيانات والاحزاب السياسية .

ومن الطبيعي ان هذا القانون اجه معارضة وانتقادات لكونه صادر عن جهة او سلطة غير منتخبة من قبل الشعب ، ومن هذه الانتقادات منحه للأشخاص المنفردين بتكوين حزب سياسي وهي سابقة غير مشهودة ، او الحصول على توقيع خمسمائة شخص فقط لهذا الغرض ، وانتقادات عدة اخرى . لكن وضع الاحزاب السياسية اخذ وضعاً قانونياً في العام 2004 عند صدور قانون ادارة الدولة حيث اشار في المادة 13 الى الحق بتشكيل الجمعيات السياسية والاحزاب وحرية التعبير عن الآراء والتوجهات واقامة الاجتماعات.[13] لكن الاشكالية الحقيقة التي تؤخذ على هذا القانون هو سماحه بتشكيل احزاب على اساس هويات طائفية وقومية وعرقية . وهذا ادى الى توسيع قاعدة الاحزاب السياسية في العراق وتعددها بشكل واضح للجميع ، حيث انفتح الباب على مصراعيه لتشكيل هذه التكتلات التي لم تكن لديها حتى الرؤية الواضحة او المشروع الحقيقي لذلك فأن اغلبها وخصوصاً الضعيف والصغير منها لم يحقق شيء في الانتخابات ولم يبقى منها الى النادر حيث انتهت او انمجت في كيانات واحزاب اخرى.[14]

لقد اطلقت على الاحزاب العراقية والتكتلات التي نشأت بعد 2003 عدة تصنيفات وتقسيمات لكن يتفق اغلب المصنفين الى تقسيمها حسب الهويات القومية، والطائفية والمذهبية ، فاكنت هذه الهويات على ثلاثة مستويات : هويات كبيرة تمثل الشيعة والسنة والكرد .....الخ وهويات اصغر تمثل العشيرة والمدينة والعائلة ....الخ وهويات حاولت ان تقفز على كل هذه التكتلات وتشكل كتل وطنية عابرة للطائفية والمذهبية مثل الحزب الشيوعي .[15] وبصراحة ان تشكيل هذه الاحزاب بهذه الطريقة الفئوية كان البذرة الاولى لتفتيت الهوية الوطنية الجامعة . حيث لم تستوعب الاحزاب العراقية فكرة تعدد المجمع العراقي وتنوعه وتنوع احتياجاته وافكاره واهدافه وبدلاً من تمثيل جميع مكونات الشعب انصرفت الاحزاب العراقية الى تمثيل الهويات الصغيرة وهذا ما انعكس سلباً على مستقبل هذه الاحزاب فيما بعد حيث وجدت صعوبة كبيرة في ارضاء واقناع جماهير الطوائف الاخرى والقوميات الاخرى في منحها الثقة في الانتخابات ، مما ادى الى فقدان الاغلبية السياسية في المجالس النيابية ومجالس المحافظات ، الامر الذي دفع بالعراق ونظامه السياسي الى اعتناق الديمقراطية التوافقية مذهباً سياسياً تتكرر فيه حالة عدم الاستقرار السياسي بسبب استمرار تشكيل حكومات ائتلافية وتوافقية . ضلت هذه الحكومات قائمة على التكتل الطائفي والمحاصصة الحزبية وبالتالي فقدان الاستقرار وغياب الرؤية الوطنية الواضحة .

ثانياً: مفهوم الهوية الوطنية واليات تشكيلها في العراق ومحدداتها

1- **مفهوم الهوية الوطنية :** ان المتفق عليه بهذا الخصوص هو عدم وجود تعريف او مفهوم واضح ومحدد للهوية الوطنية ، فقد تشابكت التفسيرات والتعريفات بموضوع الهوية ولا مجال للاسهاب في معنى الهوية لغوياً لذلك سنحاول ان نقرب كل وجهات النظر الممكنة في تفسير مفهوم الهوية اصطلاحاً . فيمكن وصفها بمجموعة التفاعلات الانسانية بين مجموعة من البشر يتفقون او يتشابهون في صفات معينة او يملكون ارثاً تاريخيا مشتركاً فتتشكل لديهم هوية جامعة بفعل هذا التأريخ . [16]

وان الهوية الوطنية عبارة عن مجموعة خصائص وخصال مشتركة بين مجموعة محددة من البشر سواء كانت هذه الخصال ذات طبيعة ثقافية او سياسية او اجتماعية ، مع ولاء افراد هذه المجموعة لهذه الخصال والدفاع عنها ، وهي شعور عام بالتشابه او التجانس مع هذه المجموعة ومع اهدافها ومعتقداتها ومبادئها.[17] ويرى البعض ان الهوية الوطنية لاية مجموعة تنبع من مصدرين ، المصدر الاول هو تراث هذه المجموعة الثقافي والحضاري والديني والسياسي والمصدر الثاني هو المجتمع وما يطرأ عليه من متغيرات من ناحية حاجات المجتمع المستحدثة او بعض التغيرات التي طرأت على بنية المجتمع الاقتصادية والمعيشية.[18] وفي هذا الصدد لا بد ان نشير الى ان الهوية الوطنية تقسم الى هوية اصلية حصل عليها بالولادة مثل الهوية الدينية والعرقية والمذهبية واللون والطبقة . واخرى عمل بأرادته على اكتسابها وهي الهوية التي يقرر الفرد اختيارها واعتناقها والانتماء لها وهي قد يكون اقرب تفسير لها هو البعد السياسي للهوية الوطنية فالفرد لا يتخلى عن هوياته الاصيلة لكنها يقرر ان ينتمي لهوية سياسية وطنية عابرة للهويات الفرعية وفق رغباته وتفضيلاته الشخصية . وهنا نلاحظ ان تشكيل الهوية الوطنية يمر بمراحل تاريخية فالفرد يبدأ بالهوية الاصيلة العرقية والدينية والطبقية وهذه الهويات سبقت وجود الدولة وعندما وجدت الدولة اعتنق الفرد او المواطن هويتها الوطنية التي تنشا لدى الفرد من خلال مجموعة الحقوق و الواجبات التي تترتب على الانتماء للدولة ، وطبيعة النظام السياسي القائم ومدى رضا الفرد عن النظام وعن سياسته من ناحية العدالة والمساواة في الوظائف والواجبات والاعباء. [19]

ونود هنا ان نبين ان هناك من الباحثين من يضعون عدة عناصر لتشكيل الهوية الوطنية منها اساسي ومنها فرعي وهي :

- العنصر الاول هو العنصر الطبيعي المتمثل بطبيعة الانسان الاولى كشكل الانسان وصفاته ولونه .
- بما اننا اتفقنا على ان الهوية الوطنية متحركة وفقاً لمجموعة المتغيرات الاجتماعية وديناميكية المجتمع الانساني فأن العنصر الثاني ممكن تحديده بمجموعة المتغيرات المكتسبة على شخصية الفرد واحتياجاته واهتماماته وبها يعاد صياغة هويته الوطنية مثل اللغة والموقع الجغرافي والسلوك .

ان الايمان بفكرة ان الانسان متغير ومتلون ومتحرك مع مجموعة العادات المكتسبة الجديدة يجعلنا نؤيد فكرة ان الهوية الوطنية كذلك متغيرة ومتجددة بتغير الانسان وتجدده ، وبالتالي فمن الممكن ان تجد للإنسان اكثر من هوية واحدة .[20]

ولكي نختم مفهوم الهوية الوطنية بشكل دقيق علينا ان نجد اجابة للسؤال التالي : من المسؤول عن تشكيل وصناعة الهوية الوطنية الافراد ام الدولة ؟

بصراحة هناك اتجاهين في الاجابة عن هذا التساؤل ، الاتجاه الاول يرى ويقف مع وجهة النظر القائلة برجحان كفة الدولة على الفرد في موضوع تشكيل الهوية الوطنية من خلال ما تخطط له من سياسات وما تنفذه من مشاريع فكرية وايديولوجية . فتشكل الدولة الهوية المناسبة لها وتقنع الافراد باعتناق هذه الهوية وتبنيها ، وتعمل على خلق وعي وطني يصفه البعض والماركسيين على وجه الخصوص بالوعي المزيف لدى الافراد لان الدولة هي من فرضت عليه هذا الوعي وهذه الهوية . بالنسبة للاتجاه الثاني فهو يرى العكس حيث يعتبر الفرد اللاعب الاساسي في عملية تكوين الهوية الوطنية وتعزيزها من خلال منظومة القيم الاجتماعية التي يؤمن بها ومن خلال الجماعة التي ينتمي لها.[21]

هذا ابرز ما جاء في طروحات الباحثين لمفهوم الهوية الوطنية بشكل عام ، ونجد وبشكل واضح ان الاتفاق على مفهوم واضح ومحدد يبدو صعباً للغاية . والسبب يعود الى اختلاف تجارب الدول الاجتماعية والسياسية والتاريخية في موضوعة تكوين الهوية الوطنية ومراحل تأسيسها . وفي العراق اذا اردنا ان نضع مفهوم واضح ومحدد للهوية الوطنية فأننا سندخل دوامة اكثر تعقيداً لما لف هذا المفهوم من شوائب عدة ، تشكلت بفعل الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت على الوطن نتيجة تعاقب الانظمة السياسية المختلفة على الحكم في العراق والتي كلها وبدون استثناء فشلت في تشكيل هوية وطنية جامعة للعراقيين يتجاوزون فيها هوياتهم

الفرعية والاثنية وينخرطون في هوية واحدة تمثل جميع فئات الوطن ومكوناته القومية والدينية والاجتماعية .

2- **دعائم الهوية الوطنية في العراق** : رغم مرور قرن من الزمن على تأسيس الدولة العراقية الا انها لازالت تعاني من عدم وجود هوية وطنية جامعة لكل العراقيين . وان موضوع تشكيل هذه الهوية لا يزال يمر بأكثر من مرحلة ومحطة بتعاقب الانظمة السياسية المختلفة الاتجاهات دون الوصول الى الغاية المطلوبة . هذا اذا افترضنا ان هذه الانظمة السياسية كلها او بعضها لديها غاية حقيقية او هدف حقيقي لأنشاء هوية وطنية جامعة للعراقيين عابرة لهوياتهم الفرعية ، لان جزء كبير من هذه الانظمة كان مستفيد وبشكل واضح من تشتت هذه الهوية الوطنية ، او ان بعض هذه الانظمة عمل وبكل ادواته على تأسيس وانشاء هوية حزبية موالية لاتجاهات قادة النظام السياسي بعيداً عن الهوية الوطنية .

وهنا سنحاول ان **نحدد بعض الدعائم الاساسية للهوية الوطنية** التي من الممكن التشبث بها من اجل تعزيز الهوية الوطنية في العراق :

أ_ **المدارس** : لا شك ان للمدرسة الدور الكبير في ارساء وتعزيز مفاهيم الهوية الوطنية ، فهي من اهم مؤسسات البلد التي تدعم السلوكيات والمبادئ القيمة في المجتمع ، وتعزز الشعور بالانتماء للوطن وارتباط الفرد بمجتمعه وتأريخه ومصيره المشترك . عبر ما يتم تعليمه للطلبة من دروس في تأريخ الدولة ومكانة الوطن وسيادته وتضحيات ابنائه وكفاحهم ، وبالمشاكل والتهديدات الرئيسية التي تواجه وطنهم.[22] ورغم ان المدرسة كمؤسسة في العراق قد عانت الكثير من المشاكل والتراجعات والاخفاقات جراء ما مر بالبلد من حروب وازمات اقتصادية القت بضلالها على العملية التعليمية في العراق ، واستغلال بعض الانظمة السياسية للمناهج الدراسية في تدعيم الهويات الفرعية والحزبية ، الا انها (المدرسة) تبقى اللبنة الاساسية والاولى لتعزيز الهوية الوطنية العراقية وسموها على الهويات الفرعية والمصلحية . ان الدور الايجابي الذي من الممكن ان تضطلع به المدرسة في تدعيم الهوية الوطنية يأتي عن طريق ما تقدمه من مناهج الزامية يفرض على الطالب حفظها وفهمها خصوصاً اذا كان في هذه المناهج ما يعزز تماسك المجتمع والاعتزاز بوطنيته . ايضاً يقضي الطالب فترة طويلة داخل المدرسة سواء في اليوم الواحد على مر الاعوام الدراسية وبالتالي يتأثر بشكل كبير في ما يطرح داخل البيئة المدرسية من مفاهيم مجتمعية ووطنية معززة للشعور الوطني .

ايضاً يجب ان لا نغفل ان مواد دراسية اخرى قد تعتبر غير اساسية مثل التربية الفنية والنشيد والرياضة لها دور كبير وبارز في تعزيز الهوية الوطنية وتشكيلها خصوصاً لدى صغار السن في المرحلة الابتدائية من خلال رفع العلم في يوم الخميس وألقاء النشيد الوطني للدولة ، ورسم معالم الوطن التاريخية والاثرية والدينية . وعليه فأن اندثار هذه الدروس بحجة انها ثانوية امام دروس اخرى تعتبر اساسية مثل العلوم والرياضيات وغيرها يضعف وبشكل كبير من دور المدرسة وخصوصاً في المرحلة الابتدائية في مسألة تعزيز الهوية الوطنية .[23] وعليه ندعو ان يتم ايلاء المدارس اهمية كبيرة في تعزيز الروح الوطنية و تدعيم تشكيل هوية جامعة لجميع العراقيين تسمو على هوياتهم الفرعية والخاصة من خلال تطوير المناهج الخاصة بهذه الشأن وتدريب الكوادر التدريسية على التعامل مع هذا الموضوع بحرفية ومهنية ووطنية عالية .

ب_ **الجامعات** : للجامعات دور كبير في المجتمعات التعددية مثل العراق الا ان ما مرت به الجامعات العراقية من ظروف صعبة اثرت على نتاجاتها العلمية اضعف وحجم بشكل كبير دور الجامعات في العراق على عدة فترات . ان ما تقدمه الجامعات من فكر وطني نير داخل قاعات المحاضرات ، وما يتم طرحه من قبل باحثين الجامعات واساتذتها من بحوث وندوات وورش في الشأن الوطني له الاثر البالغ في صناعة هوية عراقية جامعة عابرة للانتماءات الضيقة والفرعية . وعليه يجب وضع استراتيجية شاملة لكل الجامعات والمعاهد يتم فيها تبني مشروع تعزيز الهوية الوطنية العراقية حتى وان تطلب الامر فرض مقرر دراسي يعنى بالهوية الوطنية ويتم تدريسه لكافة التخصصات العلمية اسوةً بمواد حقوق الانسان والديمقراطية ، وجرائم حزب البعث .

ج_ **دور المرجعية الدينية** : ان للمرجعية الدينية في العراق دوراً بارزاً في كل مفاصل الحياة الدينية والاجتماعية ، والسياسية وفي محطات مهمة من تاريخ العراق السياسي والوطني منذ ثورة العشرين وحتى الازمات الطائفية بعد عام 2003 . لذلك نعتبرها ونشهد لها بالدور الكبير في حفظ الهوية الوطنية العراقية وتعزيزها ونعول عليها ايضاً في هذا الخصوص . المرجعية الدينية النجفية دعت الى الوحدة والتوحد ونبذ الخلافات خصوصاً بعد تفكك الدولة العراقية في 2003 وما بعدها ، واكدت على حرمة الدم العراقي وتعزيز الوحدة الوطنية والابتعاد عن التعصب والطائفية .[24] ان للمرجعية الدينية الشيعية في العراق والمتمثلة بمكتب السيد السيستاني مقبولية جيدة للغاية ومن مختلف طوائف الشعب العراقي نتيجة تكرار خطابها الوطني الداعي للوحدة الوطنية ومنعها

المستمر في مواقفها من الانزلاق الى حرب طائفية.[25] وعليه يجب استغلال هذه الثقة او المقبولية وفي تدعيم الهوية الوطنية العراقية برؤية واضحة تستند على مثل هكذا دعائم (المرجعية الدينية) .

د_ الاعلام : لا شك ان الاعلام العراقي ما قبل التغيير في عام 2003 كان اعلام موجه وحكومي بحت . بحيث كان كل ما يطرح هو عبارة عن محاولة تصدير موقف ورأي صانع القرار الى الشارع العراقي وفرض تبنيه والايمان به بشكل او بأخر ، والعمل على تلميع صورة النظام السياسي والحزب الحاكم لذلك لم يكن للاعلام دوراً واضحاً وفعالاً في دعم الهوية الوطنية بل بالعكس كان فعالاً في دعم الهوية الحزبية للنظام السياسي وشخوصه . اما ما بعد التغيير فقد شهد العراق انفتاح كبير على المستوى الاعلامي وبشكل مبالغ فيه من ناحية كثرة القنوات التلفزيونية والوسائل الاعلامية الاخرى ، وللأسف فأن اغلب هذه الوسائل لعبت دوراً سيئاً في دعم الهوية الوطنية وعملت على تعزيز الهويات الفرعية والعرقية والمناطقية . خصوصاً تلك التي تتبع للاحزاب السياسية الممثلة للهويات الفرعية غير الوطنية ، على عكس وسائل الاعلام الحكومية التي حاولت ان تركز على الفعاليات الوطنية التي تدعو الى نبذ الفرقة ونشر التسامح وتجاوز التحديات.[26] ان اغلب وسائل الاعلام وخصوصاً القنوات التلفزيونية هي مرآت لسياسة الاحزاب السياسية والجهات التابعة لها فاذا كانت هذه الجهات ترغب في تعزيز الهوية الوطنية الجامعة ودعمها وتعزيزها فسنجد خطاب اعلامي وطني عابر للهويات الفرعية الضيقة ومعزز للوحدة الوطنية .[27]

3- **محددات الهوية الوطنية العراقية :** مثل ما للهوية الوطنية من دعائم وركائز وفرص نجاح في العراق فأن لها ايضاً عدة محددات او اسباب لفشل تشكيل الهوية الوطنية العراقية سنحاول بايجاز التعرف عليها وتحديدها . وسنتجاوز ذكر المحددات التي سبقت العام 2003 كون اغلبها لم يعد في الحقيقة لم يعد لها وجود ، وسنركز على المحددات التي تلت مرحلة التغيير السياسي بعد الاحتلال ومن ابرز هذه المحددات هي :

أ_ الطائفية : ان تركيبة المجتمع العراقي الواضحة للعيان تعتبر معقدة بعض الشيء . كون الشعب العراقي ينقسم الى عدة قوميات وطوائف ،ومذاهب ، وهذه الهويات الفرعية للمواطنين ليست المشكلة الحقيقية التي تواجه الهوية الوطنية في العراق ، كون اغلب المجتمعات البشرية تنقسم الى مثل هكذا تقسيمات حسب اللون والعراق والدين وغيرها . لكن المشكلة تكمن في التعنصر والتكتل لهذه الهويات الفرعية على حساب الهوية الجامعة هو المشكلة بعينها خصوصاً اذا ما عزز هذا التكتل بأعلام طائفي.[28] وهذا التكتل والتخندق الطائفي اذا ما استمر واجج سوف يؤدي لا محال الى الاحتراب والاقتتال المذهبي والعرقي وهو ما يعمق جراح الهوية الوطنية ويؤسس جذور عميقة للهوية الفرعية اقوى من جذور الهوية الوطنية .[29] وفي العراق بعد 2003 هذا ما حدث بالضبط وهو ما اضعف الهوية الوطنية بشكل كبير .

ب_ التدخلات الخارجية : بعد التغيير السياسي في العراق واسقاط النظام الفردي المتسلط المغلق صار العراق ساحة مفتوحة للتدخلات الخارجية بشؤونه الداخلية وخصوصاً من الدول الاقليمية . وهذه الدول مثل ايران وتركيا والسعودية وسوريا والكويت بالإضافة الى الولايات المتحدة الامريكية كان لديها تصورات وسيناريوهات مختلفة وغير متوافقة تماماً لمستقبل العراق.[30] ومما عزز تأثير هذه التدخلات الخارجية هو وجود قوى سياسية عراقية موالية لقوى اقليمية ودولية في الداخل العراقي ، وقد لعبت هذه التدخلات على دعم و زيادة الانقسام الداخلي وتغذية المشاعر الطائفية والعرقية على حساب الوحدة الوطنية العراقية.[31]

ج_ المحاصصة وانعدام العدالة في توزيع الوظائف العامة : شكلت المحاصصة السياسية وانعكاساتها على تقاسم الوظائف العامة عبئاً اخر اثقل كاهل المواطن العراقي واضعف ثقته بالقوى السياسية ، وجعله يشعر بالغبن نتيجة غياب الوظائف العامة وفرص العمل التي اقتصرت على كوادر الاحزاب السياسية ومؤيديها . الامر الذي اضعف ولاء المواطن لهويته الوطنية وانعدام ثقته بها .

د_ القبلية والعشائرية : حصلت العشائر في العراق على دعم الحكومات المتعاقبة منذ تأسيس الدولة العراقية مقابل ضمان عدم وقوفها بوجه الدولة ، وفي بعض الاحيان اضطرت بعض الانظمة السياسية في العراق من التغاضي عن الجرائم التي يرتكبها افراد هذه العشائر وكانت هذه بداية لتمرد افراد هذه القبائل على الدولة والمواطنة . فانتشر وازداد في عقول ابناء هذه العشائر شعور الولاء للعشيرة والقبيلة على حساب الدولة مما اضعف الهوية الوطنية لديهم . والذي زاد الامر سوءً هو هجرة الكثير من ابناء القبائل الساكنين في الارياف والقرى الى المدينة لاسباب مختلفة وهذه الهجرة تسببت بالتاثير على المجتمعات المدنية وعلى شعورها الوطني الموحد وانتشار عادات وتقاليد العصبية القبلية والعشائرية . ان ضعف القانون في الكثير من محطات التاريخ السياسي العراقي نتيجة لظروف الحروب والصراعات مكن هذه

التجمعات القبيلة بشكل اكبر وصار المواطن في العراق يعتقد بأن العشيرة هي الضامن لحياته وممتلكاته وهذا ادى الى نتيجة مؤسفة مفادها سمو الهوية القبلية على الهوية الوطنية .[32]

ان هذه المحددات وغيرها الكثير اسهم وبشكل كبير وللاسف في ضياع الهوية الوطينة العراقية وتشتتها . وبعد الاطلاع على اهم دعائم ومحددات الهوية الوطنية في العراق بشكل عام سنرى الان الى أي حد كانت الاحزاب السياسية في العراق مؤثرة في تفتيت الهوية الوطنية والى اية قدر باستطاعتها اعادة تشكيل الهوية العراقية الجامعة العابرة للهويات الضيقة والفرعية .

ثالثا : دور الاحزاب السياسية العراقية في بناء الهوية الوطنية وتعضيدها

بعد الاطلاع على نشأة الاحزاب السياسية العراقية وانوعها وادورها التاريخية، ومحاولة ايجاد فهم جامع للهوية الوطنية ودعائمها ومحدداتها في العراق سنحاول ان نبين الدور الحقيقي للاحزاب العراقية في تشكيل الهوية الوطنية العراقية . وهذا الدور يقسم الى قسمين الاول هو الدور السلبي للاحزاب العراقية في بناء الهوية الوطنية ، والقسم الثاني هو الدور المفترض والمستقبلي الذي على الاحزاب العراقية ان تضطلع به والذي يجب ان يكون ايجابي تجاه مسألة الهوية الوطنية العراقية .

1_ الدور السلبي للأحزاب السياسية العراقية : في البدء يجب ان ننصف الاحزاب السياسية ونعرف كيف تمارس ادورها قبل ان نحكم عليها بممارسة الدور السلبي . فالوظائف والمهام والادوار التي تؤديها الاحزاب السياسية ترجع الى نوع النظام السياسي القائم فاذا كان النظام السياسي القائم نظام فردي ومتسلط فلا يمكن الحديث اولاً عن تعددية حزبية ولا عن ادوار فعالة للاحزاب السياسية ثانياً . اما اذا كان النظام السياسي القائم نظام ديمقراطي فان الوضع سيختلف كون الانظمة الديمقراطية تؤمن بالتعددية الحزبية وبتفعيل ادوار الاحزاب السياسية ونشاطها بكل يسر وشفافية . وهنا نصل لنتيجة مهمة وهي ان ادوار الاحزاب السياسية العراقية ماقبل 2003 هي ادوار شكلية وغير فاعلة كون كل الانظمة السياسية التي سبقت هذا التأريخ لم تعرف تجربة حزبية فعالة في العراق خصوصاً تلك الانظمة ذات الصبغة العسكرية . وعليه سنركز في هذا المبحث على الاحزاب العراقية مابعد التغيير السياسي في 2003 فيما يخص مشكلة البحث وهي الهويةالوطنية العراقية .

وسنحاول هنا تحديد ابرز الادوار السلبية للاحزاب السياسية العراقية تجاه الهوية الوطنية والتي تسببت باضعافها :

أ_ غياب الاعتدال في الخطاب الاعلامي للاحزاب السياسية : يشكل الخطاب الاعلامي للقوى السياسية دوراً بارزاً في الحفاظ على السلم المجتمعي في العراق او العكس ، وما يطرح في ماكنات الاحزاب الاعلامية من تصريحات او ما يتم تناوله من قضايا يؤثر بشكل مباشر في الشارع العراقي وخصوصاً في مواسم الانتخابات البرلمانية او المحليه . ولكن السؤال الاهم هل عرف الاعتدال على الخطاب السياسي والاعلامي للاحزاب العراقي ام العكس ؟ . دعت اغلب القوى السياسية(المعارضة) قبل اسقاط النظام السابق في خطابها السياسي الى التغيير الديمقراطي وهذه كانت السمة البارزة على الخطاب الحزبي لقوى المعارضة ، وبعد التغيير وتولي هذه الاحزاب لزمام الامور فانها اتجهت للخطاب المكوناتي (لأغراض سياسية) والذي اسس النظام السياسي في العراق ودستوره على هذا المبدأ(المكوناتية) .[33] وهذا التأسيس للهويات الفرعية والمكوناتيه والمناطقية اجج الخطاب السياسي الغير المعتدل والمتطرف والطائفي الذي يخدم تطلعات الاحزاب السياسية الغير مهتمة للنتائج المترتبة على هذا السلوك . ان انتشار هذا الخطاب بشكل رائج سببه امتلاك الاحزاب العراقية للقنوات التلفزيونية التي انتشرت بكثرة بعد الانفتاح الاعلامي الكبير الذي شهده البلد .[34] ان غياب الخطاب المعتدل للقوى والنخب العراقية لم يسبب فقط ضياع الهوية الوطنية ، بل ادى الى حدوث اعمال عنف ونزاعات مسلحة عرقية ومذهبية راح ضحيتها عدد غير قليل من ابناء الوطن . وعليه كان للاحزاب وخطاباتها السياسية اثر بالغ في ضعف الهويه الوطنية وتجزئتها وتعضيد الهويات الفرعية ، ولسنا بصدد تقديم النصائح للقوى السياسية من اجل تحسين خطابها السياسي فهي ترى وتعي كم كلف الخطاب المطرف العراق كثيراً .

ب_ ضعف دور الاحزاب السياسية في عملية التنشئة السياسية : ان من اهم الادوار التي تمارسها الاحزاب السياسية في الانظمة الديمقراطية هو قيامها بمهمة التنشئة السياسية للمجتمع وبمختلف فئاته ، بالاشتراك مع مؤسسات اخرى مثل الاسره والمدرسة والمؤسسات الاعلامية ، والتنشئة السياسية هي العملية التي يحصل الفرد بموجبها على مجموعة من العقائد والسلوكيات والايديولوجيات عبر هذه الوسائل المذكوره اعلاه وابرزها الاحزاب السياسية (مشاقبة ،2015 : 36) . ومن المؤسف ان الاحزاب العراقية لم تمارس هذا الدور بصوره صحيحة ولم تساهم بشكل فاعل في تنشئة وتثقيف المجتمع سياسياً ، وهذا يعود ربما الى غياب البرنامج الواضح لدى الاحزاب العراقية ، كون اغلبها كان يملك هدف واحد وهو اسقاط النظام السياسي ولم تملك برنامج لما بعد اسقاط النظام، او تصور لما يجب ان يكون عليه النظام

السياسي في العراق . مما سبب ارباكاً وخلافات على عدة مراحل بين الكتل السياسية ،واحزاب سياسية لا تملك برنامجاً او رؤية لطبيعة النظام السياسي كيف ستمارس دورها في التنشئة السياسية .ومن اسباب ضعف الدور الحزبي في التنشئة السياسية هو ضعف ايمان وثقة المواطن العراقي اصلاً في الاحزاب السياسية ولعدة اسباب من ابرزها عدم قدرة هذه الاحزاب على معالجة المشكلات الاجتماعية والسياسية في البلد ، وايضاً ارتباط الحزب بشخوص قادته فقط حيث تبقى اليات الحزب وبرنامجه السياسي وتحالفاته مرتبطة بشخص زعيم الحزب يتصرف به حسب اهوائه الشخصية . ومن اسباب نفور المواطن من الاحزاب السياسية هو ضعف هذه الاحزاب في الامتداد لكل فئات المجتمع العراقية واقتصارها على فئات معينة مما سبب حالة من عدم الثقة بينها وبين المواطنين .[35]

ج_ الدور السلبي للأحزاب السياسية في التعاطي مع القضايا الوطنية : جزء كبير من انعدام ثقة المواطن العراقي بالاحزاب السياسية سببه انشغال الاخيرة عن القضايا الوطنية المهمة التي تمر بالبلد وعدم اعارتها اية اهمية . فقد انشغلت اغلب الاحزاب العراقية بالتحالفات السياسية وبما يسمى تقاسم الكعكة (كعكة المغانم الوزارية والمناصب الهامة) . وتركت قضايا البلد المصيرية سواء كانت الامنية او الاجتماعية او الاقتصادية ، وغضت النظر عن اموروقضايا هامة تخص مصلحة الوطن باكمله . ومن ابرز هذه القضايا هي موضوع المصالحة الوطنية ووحدة الاراضي العراقية فقد كان دور الاحزاب العراقية وبالاخص من الفترة 2006 الى 2014 سلبي للغاية ومفتت للحمة الوطنية ومعزز للخلافات والتخندقات الطائفية والمناطقية كون اغلب الاحزاب العراقية استفادت من هذه الفترة بشكل كبير وادعت تمثيلها لفئات معينة من المجتمع العراقي مستغلة الانقسام الداخلي وشيوع الخطاب الطائفي الذي ساهمت به وباستمراره عبر القنوات التلفزيونية والوسائل الاعلامية التابعة لها.[36] ومن ابرز القضايا الوطنية التي فشلت في ادارتها الاحزاب السياسية هي القضاء على الفساد الاداري والمالي في الدولة الذي استشرى وبمباركة من اغلب الاحزاب السياسية التي لم نسمع يوماً انها حاسبت احد كوادرها على اضراره بمصالح البلاد المالية والادارية . وقضايا وطنية اخرى كبرى مثل انتهاك سيادة البلد وعدم المحافظة على مقدراته المالية والاقتصادية وثرواته الطبيعية . كل هذه الفشل في ادارة القضايا الوطنية اضعف ثقة المواطن بالاداء الحزبي بشكل عام في العراق فتعاطي الاحزاب مع القضايا الفئوية والمناطقية وغضها النظر عن القضايا الوطنية الجامعة لمصالح الوطن من شماله الى جنوبه ساهم في تفتيت الهوية الوطنية العراقية .[37]

د_ ضعف القرار الوطني والداخلي للاحزاب السياسية والاعتماد على القوى الخارجية : اغلب الاحزاب العراقية انشغلت بالمشاريع الخارجية والاقليمية الطائفية والاثنية والقومية وتركت وحدة البلد الوطنية ومشاكله . فاتسعت عوامل اضعاف الهوية الوطنية والانقسام بين المكونات السياسية العراقية التي اصبح لكل منها ولاء وتبعية الى اجندات خارجية بناءً على التماثل والتشابه القومي والمذهبي مما اسهم في تمزيق الهوية الوطنيه الداخلية العراقية .[38] ان هذه الاحزاب السياسية ومن المؤسف لم تعي لهذه اللحظة بأن لا احد من دول المنطقة يرغب في نجاح النظام السياسي الديمقراطي العراقي وخصوصاً اذا ما علمنا ان اغلب انظمة المنطقة هي انظمة فردية وتسلطية وغير ديمقراطية وان نجاح التجربة الديمقراطية في العراق ستشكل تهديداً على الانظمة الاقليمية [39] ولذلك شهد العراق تدخلات عده من قبل القوى الاقليمية في شأنه الداخلي وبشكل مستمر وبمباركة الاحزاب والكتل السياسية العراقية بمختلف انتماءاتهم وتوجهاتهم .

2_ الدور الذي من المفترض ان تقوم به الاحزاب العراقية لتعزيز الهوية الوطنية :

بينا فيما سبق ما للاحزاب العراقية من ادوار سلبية مزقت الهوية العراقية وعملت على تفتيتها وتصغيرها وصار لزاماً على الاحزاب العراقية ان تعيد النظر وان تشد الهمة في طريق تدعيم ركائز الوهية العراقية الجامعة ونبذ الهويات الفرعية المكوناتيه . ونرى ان الاحزاب العراقية تستطيع القيام بذلك اذا ما قامت بالاتي[40] :

أ _ على الاحزاب العراقية اعادة النظر في هيكليتها الداخلية والمناصب الفرعية والرئيسية في داخل الحزب ومن الذي يجب ان يتولاها بعيداً عن العشائرية والزعامة وغيرها من التأثيرات التي تضعف من قدرة الحزب على التكيف مع المتغيرات المجتمعية والسياسية وبالتالي عدم التعاطي مع القضايا الوطنية التي تهم الشارع العراقي .

ب_ تسخير كل وسائل الحزب الاعلامية والصحفية لنشر قيم المواطنة والتعايش السلمي والاندماج الوطني وتغليب الهوية الوطنية وتعظيمها على باقي الهويات الاخرى ونبذ الطائفية والتطرف . والعمل على تعضيد السلوك القائم على العدل والمساواة في تولي الوظائف العامة والمناصب الحساسة وابداء الشفافية التامة في ذلك من اجل اعادة ثقة المواطن في سلوكيات الاحزاب

السياسية وتجاوز اخطاء الماضي التي شوهت صورة الحزب السياسي لدى المواطن العراقي .[41]

ج_ مراقبة الاجهزة التنفيذية ومتولي المناصب الحساسة في الدولة وسلوك الحكومة السياسي وضمان نزاهة العمل المؤسساتي والعمل على القضاء الى الفساد الاداري والمالي ، وتوجيه الجهد الحكومي لحل المشاكل الازلية التي يعاني منها المواطن وابرزها الامن والخدمات والكهرباء والصحة .

الخاتمة

وفي خاتمة بحثنا هذا نود ان نطلع القارئ الكريم على اهم النتائج التي توصلنا اليها :

1- ان اغلب الاحزاب العراقية التي سبقت الفترة ما قبل 2003 هي احزاب ترتبط بقادة الحزب حصراً وانشأت من اجل بقاء الزعماء في مناصبهم ، وهي احزاب زعامة وليست تشبه الاحزاب الحقيقة التي تتطلب وجود كوادر حزبية وتقسيمات واهداف ومبادئ .
2- ان معظم الاحزاب التي ظهرت بعد العام 2003 هي احزاب قائمة على التقسيمات الطائفية والقومية ، وهي احزاب فئوية لم تستطع ان تمثل مختلف شرائح المجمع العراقي واقتصرت على فئات معينة منه .
3- تعاني الهوية الوطنية في العراق من وجود عدة عوائق او محددات تقف بوجهها ومن ابرزها (الطائفية والانقسامات العرقية والاثنية ، وغياب خطاب الاعتدال السياسي والوطني ، كذلك زيادة النزعة القبلية والعشائرية في المجمع العراقي ومحددات اخرى تتعلق بتقصير السلطات السياسية في تقديم الخدمات للمواطنين بطريقة عادلة ومتساوية وبدون تمييز) .
4- مارست الاحزاب السياسية العراقية ادواراً غير ايجابية تجاه الهوية الوطنية من خلال دعمها وتركيزها على المصالح الفئوية والهويات الفرعية ، والانصراف عن المسؤوليات الحقيقية التي تقع على عاتق الاحزاب السياسية التي من ابرزها التنشئة السياسية للمجتمع وللشباب على الركائز الوطنية والتأريخية والاجتماعية التي من شأنها اعلاء شأن الهوية الوطنية الجامعة لكل العراقيين .
5- على الاحزاب السياسية العراقية ان تعي ان على عتقها يقع دور ومسؤولية كبيرة في حفظ الهوية الوطنية العراقية وتعزيزها والدفاع عنها بوجه الهويات الفرعية والفئوية الضيقة . وذلك عبر تسخير كل وسائل ومؤسسات الحزب الاعلامية والمالية والاجتماعية في دعم الهوية الوطنية الموحدة لجميع العراقيين لان هذا هو السبيل الوحيد لحفظ النظام السياسي وضمان ديمومته وبقاءه .

الهوامش

(1) الحسني ، 1975: 210 .
(2) حنون ، 2015: 156 .
(3) شرقي، 2020 : 263 .
(4) كاظم والعاني ، 1990: 116-117 .
(5) جواد ، 2022: 510 .
(6) حسين وصوفان ، 2021 :56 .
(7) صوفان : 56.
(8) دحدوح ،2014 : 9 .
(9) دحدوح :16-17-18 .
(10) دله ، 2002 : 354 .
(11) الدبس ، 2013 : 317 .
(12) السراي ، 2023 : 3-4 .
(13) علاي : 25 .
(14) صالح ، 2011 : 63 .
(15) علوان ، 2008 : 40 .
(16) كزار ، 2023 : 90 .
(17) جاسم ، 2019 : 90 .
(18) علوان وجبر ، 2017 : 234 .
(19) مكي ، 2016 : 472-473 .
(20) سبع ، 2017 : 107 .
(21) مكي : 473-474 .
(22) شريف الدين ، 2017 : 248 .
(23) عبدالامير ، 2018 : 354-355 .
(24) محمد التميمي وحسين التميمي ، 2022 : 151 .
(25) الزيادي ، 2022 : 44-45 .
(26) محي وصالح ، 2019 : 119-120 .
(27) كنعان ، 2014 : 30-31 .
(28) صبار ، 2015 : 307-308 .
(29) محفوظ ، 2009 : 49 .
(30) حسين ، 2011 : 155 .
(31) طيب ، 2017 : 249 .
(32) حمود ، 2022 : 53-54 .

(33) محمود ، 2021 : 286 .

(34) الجنابي ، 2012 : 31 .

(35) علاي : 40-41 .

(36) المحمداوي ، 2009 : 8 .

(37) جاسم ، 2018 : 17-18 .

(38) حسين واخرون ، 2021 : 43-44 .

(39) الخزعل ، 2016 : 593 .

(40) جاسم ، 2018 : 17-18-19 .

(41) محمد ، 2020 : 276 .

المصادر

الكتب والمراجع

- ابراهيم شريف الدين ، ايديولوجية المواطنة ، دار غيداء للطباعة والنشر ، عمان ، الاردن ، 2017 .
- امين مشاقبه ، الوجيز في المفاهيم والمصطلحات السياسية ، ط1 ، الجامعة الاردنية-عمان ، 2015 .
- حميد حنون ، الأنظمة السياسية ، دار السنهوري ، بغداد ، ط2 ، 2015 .
- سام سليمان دله ، القانون الدستوري والنظم السياسية ، منشورات جامعة حلب ، ط1 ، حلب ، 2002.
- صالح جواد كاظم و د. علي غالب العاني ، الانظمة السياسية ، العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، 1990 .
- عبد الخالق حسين ، الطائفية السياسية ومشكلة الحكم في العراق ، دار ميزو بوتاميا ، بغداد ، 2011 .
- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، الجزء الثالث ، 1975 .
- عصام الدبس ، النظم السياسية – الكتاب الاول ، دار الثقافة ، ط2 ، عمان، 2013 .
- علي عبدالفتاح كنعان ، الاعلام والمجتمع ، دار اليازوري العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، 2014 .
- ميثم الجنابي ، فلسفة الهوية العراقية ، دار افكار للدراسات والنشر ، دمشق 2012 .
- محمد محفوظ ، ضد الطائفية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب 2009 .
- هبه علي حسين واخرون ، بناء دولة العراق تيارات متضاربة ورؤى مستقبلية ، مؤسسة الروضان الثقافية ، ط1 ، بيروت ،لبنان ، 2021 .

الرسائل والاطاريح

- طارق علي الربيعي ، الاحزاب السياسية ، مطابع التعليم العالي ، الموصل ، 1990 ، ص67 . نقلاً عن ستار كاظم جواد ، الاحزاب السياسية في العراق ودورها في حماية الحريات الاساسية ، بحث مستل من رسالة ماجستير حقوق الانسان والحريات العامة ، مجلة العلوم القانونية والسياسية – جامعة ديالى ، المجلد 11، العدد الثاني ، 2022 .

الدوريات

- ابتسام حاتم علوان و أ.م.د دينا محمد جبر ، بين اشكالية الهوية والانتماء ورهانات الوحدة الوطنية العراقية ، المجلة السياسية والدولية ، العدد (35-36)،2017 .
- احمد غالب محي ، عماد محمد صالح ، الابعاد الامنية والسياسية والاجتماعية والثقافية للأعلام العراقي في تعزيز الهوية الوطنية بعد 2003 ، مجلة دراسات دولية ، العدد (77-78)،2019 .
- ايمن احمد محمد ، الانصرافية في فكر وسلوك الاحزاب السياسية العراقية بعد 2003 ، مجلة قضايا سياسية ، العدد 60، كلية العلوم السياسية – جامعة النهرين 2020 .
- ايوب محمد طيب ،ما هيه الهوية الوطنية وتحدياتها (تحديات الهوية الوطنية العراقية) ،مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية .
- حسن هاشم حمود، العصبية القبلية والسلم الاجتماعي ، مجلة حمورابي ، العدد (42) ، 2022 .
- حسين عليوي ناصر الزيادي ، دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية بعد 2003 ، مجلة السبط ، العدد (5) ، 2022 .
- خضر عباس علوان ، مستقبل ظاهرة العنف السياسي في العراق ، مجلة المستقبل العربي ، ع330 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2008 ، ص40 نقلاً عن أ . د * أ.م.د نعيم حسين كزار ، ثقافة الاحتجاج واعادة بناء الهوية الوطنية في العراق ، مجلة نسق ، مجلد 38 ، عدد (5) ، 2023 .
- خيري عبد الرزاق جاسم ، اشكالية الهوية الوطنية في العراق وسبل ترسيخها ، مجلة حمورابي ، العدد (30) ، 2019 .

- خيري عبدالرزاق جاسم ، رؤى الاحزاب السياسية العراقية للقضايا الوطنية بعد 2003 ، مجلة حمورابي ، العدد 25-26 ، 2018 .
- دينا هاتف مكي ، تحولات الهوية في العراق بين الهوية الوطنية والفرعية ، المجلة السياسية والدولية ، العدد (31-32) ، 2016 .
- ستار جبار علاي . الاحزاب السياسية العراقية بعد 2003 (دراسة في البرامج السياسية) ، مجلة دراسات دولية ، العدد (80) .
- سجاد محمد شرقي ، الاحزاب السياسية العراقية والحياة العامة (دراسة في طبيعتها وقانونها بعد 2003)، مجلة الباحث ، العدد 36 ، 2020 .
- سحر حربي عبد الامير ، دور المدرسة في صناعة الهوية الوطنية ، مجلة دراسات تربوية ،العدد 24 تشرين الاول ، 2018 .
- سداد مولود سبع ، الهوية الوطنية وتعزيز التعايش السلمي في العراق ، مجلة دراسات دولية ، العدد (68) ، 2017 .
- علي جاسم محمد التميمي و أ.م.د سعدي علي حسين التميمي ، دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية العراقية ، مجلة السبط ، العدد (5) ، 2022 .
- علي عبود المحمداوي، اشكالية التسامح والاعتراف بالاخر ، مجلة المواطنة والتعايش ،مركز وطن للدراسات ، بغداد، العدد(9) ،2009 .
- ليث عبد الحسن الزبيدي ، ثورة 14 تموز 1958 في العراق ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ،ط21 ، 1981 ، ص248 . نقلاً عن أ.د سعيد مجيد دحدوح ، العراق من دكتاتورية الفرد الى دكتاتورية الاحزاب ، مجلة حمورابي ، العدد التاسع ، 2014 .
- محمد رشيد صبار ، نحو خطاب اعلامي عربي لمواجهة الطائفية ، مجلة دراسات دولية ، مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية جامعة بغداد ،2015 .
- مصطفى السراي ، بناء الاحزاب السياسية العراقية وفقاً لقانون الاحزاب رقم (36) لسنة 2015 (رؤية نقدية) ، مركز البيان للدراسات والتخطيط ، 2023 .
- مؤيد جبير محمود ، الاعتدال في الخطاب السياسي واثره في بناء الهوية الوطنية ، مجلة قضايا سياسية ، العدد 67 ،2021.
- نجلاء عدنان حسين و هدى رباح صوفان ، الاحزاب العراقية في عهد الاحتلال والانتداب البريطاني حتى عام 1932 ، مجلة نسق ، مجلد 32 ، العدد الرابع ، 2021 .
- نغم محمد صالح ، التعددية الحزبية في العراق في ظل غياب قانون الاحزاب ،مجلة العلوم السياسية – كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد ، العدد 43 ، 2011 .
- نور قيس الخزعل، الاحزاب السياسية والديمقراطية في العراق بعد 2003 (الواقع والمستقبل) ،المجلة السياسية والدولية ، العدد 33-34 ، 2016 .